

— لا لكن بمعنى الغناء والتغريد

— اني لا اعلم لفظاً بالعربية تفيد هذا المعنى . فهل اهل بعلبوا يعرفون هذه الالفاظ بهذه المعاني التي تذكرها ؟

— اني نجدني الاصل . واتيت هنا للتجارة . ولا اعلم ما يعني البعلويون هذا الطائر كما لا ادري ايسمون المزقة بهذا اللفظ او بلفظ آخر .

ثم لاحظت ان صاحبي ضاق ذرعاً من اسمائتي والحاقني في الاستفسار ، فطوينا بساط هذا الحديث ، وانتقلنا الى موضوع آخر بعد ان ثلاث في مذكري ما سمعته .

وفي اليوم الثاني سألت بعض الاهالي عما يعرفونه من ادر هذا الطائر ؟ فقالوا : اسمه عندنا « بلبل هزار » او هزار . لكننا لانعرف المزقة بهذا المعنى كما لانعرف لـ «مزق» سوى معنى واحد وهو قطع وشقق وخرق او بما يقرب هذا المؤدى .

ولما عدت الى بغداد اخذت انبحث عن كلمة « مزقة » في لسان العرب فوجدته يقول : « طائر وليس بثبت » ونقرت عنها في تاج العروس قال فيت في هذه الميابة « المزقة بالضم طائر صغير وليس بثبت » الا . اما سائر المعاجم اللغوية فلم تزد شيئاً على هذا القدر .

واما فعل «مزق» المجرد فلم اجد له في ديوان معنى يدل على الغناء بل وجدت للمزيد فيه هذا المعنى . قال في لسان العرب في مادة : م ز ق : « قل ابن بري : وحكى المفضل الضبي عن احمد اللغوي : ان الممزق العبدى سمي بذلك لقوله : فمن مبلغ التعمان ان ابن اخته على العيين يعتاد الصفا ويمزق

ومعنى يمزق : يعني » قال وهذا يقوي قول الجوهري في كسر الزاي في الممزق إلا ان المعروف في هذا البيت « يمزق » بالراء والتعريق بالراء : الغناء ، فلا حاجة فيه على هذا لأن الزاي فيه تصحيف » انتهى بحرفه .

فمن هذا الكلام نستنتج ان النجدي محق في ما قال : اي ان مزق عند العرب بمعنى غرد وغنى . ولاجرم ان الفعل مشتق من اسم الطائر المذكور اي انهم غنوا يمزق : غنى : لانه من عادة المزقة الغناء والتغريد . وهل من يشك في ان

مزق المزيد هو من اصل ثلاثي مجرد لم يذكره اللغويون لانه معات ؟ كما لا نرتاب في ان غنى المجرد معات بخلاف غنى المزيد فهو مشهور المعنى . واشتق السلف معنى مزق من المزقة كما اشتقوا « العنداة » من العندليل او العندليب ، قال في اللسان : « العندليب : طائر يصوت الوانا ، والليل يعندل اي يصوت وعندل العهد : اذا صوت ، عنداة » الا

وعليه انا نرى ان مرق بالراء نصيف مزق بالزاي وليس العكس كما ذهب اليه علماءنا الاقدمون لان ليس لمادة مرق بالراء معنى يشبه له الغناء بخلاف مزق بالزاي فان اشتقاقه من المزقة الطائر المغرد اي الهزار او العندليب هو امر لا ينكر . فقال اجدادنا « مزق » بالزاي كما يقول الافرنج اليوم Musiquer هذا فضلا عن ان المزقة تقارب في مادتها مادة الزرقعة .

ومن غريب ما يجب اثباته ان عوام العراق (لاحظ قولي : عوام العراق) اذن لا خواصهم (يسمون الموسيقى : مزقة (وزان حقيقة) والحرف الذي يلي الميم هو زاي لاسين ؛ فهم اقرب الناس الى السلف البعيد واضع اللفظ من الخواص البعيدين عنهم والقربيين من الافرنج وهم يجمعونها على مزائق كحقيقة وحقائق فهي عندهم اسم مصدر مثل نصيحة ونصائح .

وان سألت اليونانيين او الاغريق : من اين اتيت بكلمة « موسيقي » ؟ اجابك لغويوهم الحال هي من Mousa وبالاينية Musa وهي معبودات العلوم الفتاة وهن تسع وكن يرأسن تلك العلوم والفنون ولا سيما الفصاحة والبشر ، وان الحلفت في السؤال وقلت لهم : ومن اين جاءتكم كلمة « موزة » المذكورة وقفوا بين يديك مكتفي باليدي واجين او قلرا انها مشتقة من مادة Man او Men ومعناها فكر وعلم . قلنا : وهذه المادة ايضا بهذا المعنى تدعيها لنا وهي من « مان » (المهور العين) اي علم وفكر (لسان العرب)

ولهذا نقول انكم يا ابناء الغرب اخذتم كلماتكم من اجدادنا حينما كنتم سلفكم يساكن سلفنا متجاورين متحابين لان وضع الالفاظ الثنائية المتقطع هو من خواص اللغات السامية ولاسيما من مزايا اللغة العربية . واغلب الالفاظ

اليونانية الوحيدة الهجاء أو الثنائية من اصل عربي ولنا أدلة على هذا الرأي وشواهد تستدل بها .

أما المولودون من أجدادنا فأنهم فعلوا ما يفعل اليوم بعض معاصرينا من العوام أي أنهم يتلقون من الأفرنج الفاظا متفرنجة وهي في الأصل عربية . مثل كلمة مخزن فإن الأفرنج نطقوا بها مغزّن أو مكازن أي Magasin واليوم يستعملونها بصورة « منازلة » جاهلين أن هذا الحرف عربي التجار والمحدث وليس الأفرنجية فيه حظ . وهناك مفردات كثيرة كلها من هذا القبيل .

فنعني أنه خير لنا أن نقول : مزق عوض دق على آلة موسيقي أو ضرب بآلة موسيقي أو عزف على آلة غناء أو غنى أو غيرها . وخير لنا أن نقول « مزقة » من أن نقول « موسيقي » فذلك من لساننا وهذه من محرف كلامنا . ويحق لنا أن نسمي المعبودات المعروقات بالموزات Les Muses معروقات لومدركات أي بالراء أو بالزاي بنون فرق أو أن نقيها على حالتها أي الموزات . من باب تغيير اللفظ لأحداث تغيير في المعنى

وهنا لابد من أن نبحث عن نوع الغناء الذي خصه السلف باسم التمزيق أو التمريق وهو المرق أيضا وأصبح منه المرق (وإن لم يذكره اللغويون) قال في لسان العرب : التمريق : الغناء . وقيل دو رفع الصوت به . قال : ذهبت معد بالعلا ونهشل من بين تالي شعرة ومحمق والمرق بالسكون (أي بسكون الثاني) : غناء كلاما . والسفلة . وهو اسم (١) والمرق [كمفخم] أيضا من الغناء : الذي تغنيه السفلة وكلاما . ويقال للمغني نفسه : الممرق [كمحدث] وقد مرق يمرق تمريقا : إذا غنى . وحكى ابن الأعرابي : مرق بالغناء . وأنشد :

(١) الذي عندها أن المرق ليس اسم مصدر لمرق المضاعف بل هو مصدر أمرق الثلاثي للمات الذي لا بد من أحيائه وبسته . أما أن لتفعيل اسم مصدر على فعل المفعول الأول فلم نجد له شواهد . ولأرب في أن اللغويين ذهبوا إلى هذا القول لأنهم لم ينفوا على فعله الثلاثي على ما نقلوه عن شعراء عهدهم . والأحسن الأمور المقولة أن كل فعل زبد فيه مفعول عن مثله في المادة من الثلاثي الحروف والأماوردت الزيادة إلا أن هذه الزيادة وهي من الفروع حيث ليست أصول

افي كل عام انت مهدي قصيدة يمرق مذكور بها فالتنزيل
فان كنت فانتك العلابا بنديسقى فدعها ولكن لا تفنك الاسافل
قال ابن بري : قال ابن خالويه : ليس احد فسر التمريق إلا ابو عمرو الزاهد
قال : هو غناء السفلة والساسة . والنصب : غناء الركبان : وفي الحديث ذكر
المرق هو المغني « اذ الكلام ابن مكرم

وقد اوردنا كل هذا الكلام ليعلم منه ان المراد بالتمريق او المرق غناء
الاماء والسفلة واغاب هؤلاء الناس كانوا من غير العرب لانهم كان يؤتى بالاماء
من الديار المجاورة لديارهم . كما ان السفلة قوم بطراون من بلد الى بلد متعاقبين
في كل مصر وصقع ، ولهذا كانوا يتغنون باغاني الاجانب الذين كانوا يسمون
هذا الغناء « المرق » (بالزاي) اي Musique لا المرق او التمريق . كما سري
الوهم الى الكثيرين . اذن كان المرق ما يسميه اليوم المحدثون من الانبيج
Musique profane وقد يكون في اغلب الاحيان « مخرجا » اي تغني به
جماعة ، وكل واحد ينهب في غنائه مذهب صوت خاص به ومن مجموع هذه
الاصوات يتقوم غناء لذيذ . اي ان هذا « المرق او المرق المجسر او المخرج »
هو المعروف عند الفرنسيين باسم Morceau à plusieurs parties قال
الزمخشري في اساسه : « مرقاة السفلة والاماء تمريرا اذا غنيت . وفلان مرق
وغناء مرق كانت المخرج من جملة الحان المغنين . قال :

من نوحها طورا ومن تمريرها بقة الصالح من تطليقها . . .

ولعل معترضا يقول : ان ورود المرق او المرق على السنة الاماء او السفلة
دليل واضح على انه غير خاص بالعرب ، ولا سيما من بعد ان اطلعنا على ان
النصب او الحداء او غيرهما خاص بهم . اما المرق فأت من غير بلادهم . وناقضوها
هم هؤلاء الاماء والسفلة وفي ذلك من وضوح نسبه الى الاعليم ما لا يحتاج
الى دليل آخر بشهادة السلف انفسهم .

قلنا : اتنا لانكر دخول المرق في ديار الناطقين بالهند من بلاد اليونان او
الناطقين بالرومية ، انما نقول ان لفظة « المرق » من اصل عربي واصل في القوم
فاحتفظ به الاجانب . ولما علم هذا الغناء المخرج الى واضعي الحرف نفسه حرفوا